دولة المدينة هي الغاية القصوى في محاورة
"السياسي" لأفلاطون

بقلم
مجدي السيد أحمد كيلاني

كانت دولة المدينــــة πόλις موضــــع اهتمـــام فلاسفـــة الإغريـــق وعلى رأسهم أفلاطون وأر سطو . وقد يختلف هؤلاء الفلاسفة في مذاهبهم أو نظرياتهم السياسية و لكنهم في الواقع يتفقـــون علـــــى قيمة هذا الشكل من أشكال الدولة . و قد ناقش أسطو في كتابه السياسة πολιτίκα والذي يعني عنوانه حرفيا الأمور التي تخص المدينة – كيف تكونت دولة المدينة وكيف كان من الطبيعـــــي والضروري أن تتكون . ورغم أن الترتيب الزمني يستوجب البدء في هذا المجال بأفلاطون بوصفـــه المعلم والأسبق زمنيا إلا أنني أرى أن أبدأ بأرسطو لسببين :

أولهما:أن البحث كله مخصص لمناقشة نظرية أفلاطون في "السياسي و كيف أن الغاية القصوى في هذه المحاورة هي دولة المدينة وهو ما سوف أفرد له بقية صفحات البحث حتى الخاتمة.

ثانيهما:أن الفقرة التي وردت في الكتاب الأول بعنوان "السياسة لأر سطو يمكـــن أن تكـــون خـــير استهلال طالما أن دولة المدينة موضوع المناقشة هي الغاية القصوى من البحث السياسي.

يقول أر سطو في كتابه السياسة :

ἐκ τούτων οὖν φανερόν ὅτι τῶν φύσει ἡ πόλις ἐστί , καὶ ὅτι ὁ ἄνθ ρωπος φυσει πολιτικὸν ζῷον ἐστί , καὶ ὁ ἄπολις διά φύσιν καὶ ο ὐ διά τύχην, ἤτοι φαῦλος ἐστιν ἤ κρείττων ἤ ἄνθρωπος (ὥσπερ κ αὶ ὁ ὑφ’ Ομήρου λοιδορηθεὶς ἅμα γὰρ φύσει τοιοῦτος καὶ πολέμο υ ἐπιθυμητής), ἅτε περ ἄζυξ ὤν ὥσπερ ἐν πεττοῖς(1)

آي :

مما يتقدم يتضح أن دولة المدينة توجد بفعل الطبيعة ، وأن من الطبيعي للإنسان أن يحيا في مدينة (٢). فأي إنسان لا يحيا في دولة مدينة بفعل الطبيعة وليس بفعل الصدفة فإنه إما أن يكون أدنى من البشر أو أسمى منهم ، إنه أشبه بالإنسان الذي يصوره هوميروس متعطشا للحرب . . "

والمعنى المقصود هو أن الإنسان يحتاج بطبيعته إلى أن يعيش في مدينة وأن الذي لا يعيش على هذا النحو ἄπολις يكون منعزلا عن المجتمع وهو في هذه الحالة إما أن يكون أدنى من مستوى البشر أو أسمى من مستواهم، ثم يراه أر سطو أشبه بالإنسان البدائي كما صوره هوميروس، ذلك الإنسان الذي يحيا بلا نظام ولا قانون ويميل دائما إلى الحرب والقتال (٣) .

رغم أن محاورة " السياسي " πολιτικός لا تغطي في مجال السياسة عند أفلاطون موضوعات كثيرة ومتنوعة إذا قورنت بمحاورتي الجمهورية πολιτεία والقوانين νόμοι ، ورغم أن السطور الحقيقية التي تتعلق بالسياسي وإنجازاته وصنعته الحقيقية هي ما جاء فقط في الفقرات الأخيرة من المحاورة وبالتحديد في الفقرات من 306A إلى 311C ، إلا أن بإمكاننا أن نلاحظ في الحوار من بدايته أن فلسفة السياسة هي التي توجه المحاورة وتحدد معالمها ، وبذلك يكون النقاش الطويل الذي دار بين " سقراط " و " الغريب" Ξένος قبل أن نصل إلى هذه الفقرات الأخيرة من المحاورة ما هو إلا إعداد دقيق ومتقن من جانب أفلاطون الذي أستخدم مهارته المألوفة في كتابة المحاورة من أجل تحديد واضح للدور الذي يجب أن يقوم به "السياسي والإنجاز الذي ينبغي أن يؤديه لصالح دولة المدينة.

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان أن دولة المدينة πόλις هي الغاية القصوى في محاورة "السياسي وأن الصنعة الحقيقية للسياسي أو الدور الإيجابي والعملي الذي يجب أن يؤديه إنما هو ضمان بقاء دولة المدينة والحفاظ عليها وإنقاذها من المخاطر التي قد تأتيها من أي جانب. وبمعنى آخر فإن الهدف من الدراسة هو الوقوف عند تحديد صنعة السياسة -كما جاءت في هذه المحاورة - وبيان أن

الإنجاز المتميز لهذه الصبغة هو اتحاد دولة المدينة كأداة لبقاء هذه الدولة والسير بها إلى بر الأمـــان. وهذا يعنى أن صنعة السياسة في هذه المحاورة تلتزم فقط بمسألة البقاء أو الحياة ζῆν دون النظـــر والبحث في الحياة السعيدة εὖ ζῆν أو في السعادة Ευδαιμονία ، كمـــــا يوضــــــح لنا تناول أفلاطون للسياسة كصنعة في هذه المحاورة أن أفلاطون قرر من البدايـــــة أن يـــهتم فـــي محاورتـــه "بالسياسي أو رجل الدولة فقط وليس بالفيلسوف.

الصنعات التي تتشابه مع السياسة :

وأرى في سبيل تأكيد هذه الفكرة من خلال دراسة محاورة السياسي " لأفلاطون أن أعـــــرض للصنعات τέχναι الأخرى التي يقرنها أو يقارنها أفلاطون بالسياسة وسنرى أن أهم هذه الصنعـــات على الإطلاق هي "الحياكة" ὑφαντική

في البداية يرى أفلاطون أن من الصنعات ما ينتج شيئا عمليا بذاته τό πράγμα αὐτο ومنها ما يسهم فقط بإنتاج أدوات وأشياء أخرى تدخل فقط في خلق هذا الشيء العملي حيث يقول:-

Οσαι (τέχναι) μέν τό πρᾶγμα αὐτο μὴ δημιουργοῦσι, ταῖς δέ δημιουργούσαις ὄργανα παρασκευζονσιν, ὧν μὴ παραγενομένων οὐκ ἄν ποτε ἐργασθείη τό προστεταγμένον ἑκάστη τῶν τεχνῶν , ταὐτας μέν ξυναιτίους, τάς δε αὐτό τό πρᾶγμα ἀπεργαζομένας αἰτίας (1).

أي :

" إن تلك الصنعات (الفنون) التي لا تنتج شيئا عمليا ولكنها فقط تمد الصنعات(الفـــنون) التـــي تنتج هذا الشيء بالأدوات التي لا يستطيع فن أن ينجز العمل المنوط به بدونها يمكن أن نسميها علـــلا مساعدة (أو فرعية) ξυναιτιαι ، أما تلك الصنعات (الفنون) التي تنتج هذا الشيء العملي فهي العلل αιτιαι .

ويمهد أفلاطون بهذه الفقرة إلى التشابه بين فن السياسة وفن الحياكة ، ذلك التشابه الـــذي سوف أناقشه الآن. اختار أفلاطون على لسان "الغريب" صنعة الحياكة ὑφαντική ليقرنها بصنعة السياسة πολιτική لأن الأداء المتميز لهذه الصنعة ينطبق مع الأداء المتميز للسياسة وهو القدرة على اختيار القماش بعناية وإعداده ودمجه بمهارة في سبيل خلق إنتاج واحد منسجم ولائق قادر علـــى الاستمرار والبقاء . ومن بين سائر الفنون والصنعات اختار " ا لغريـــب " الحياكــة بصفــة خاصــة لمقارنتهـــا بالسياسة لأن فيهما اتحاد الشبيه بالشبيه:

αὐτὰ αὑτοῖς συνδετά (٥)

فإذا كانت الغاية من الحياكة هي إجادة استعمال جميع أدوات هذه الصنعة من أجل إنتـــاج الملابس حيث تعتبر هذه الأدوات من خيوط ومسلات وغيرها عللا مكملة وأن الصنعة التـــي تنتـــج الملابس ذاتها هي العلة الحقيقية، فإن الغاية من السياسة قريبة الشبه من هذا، حيث أن الغاية من هـــذه الصنعة هى الحفاظ على دولة المدينة عن طريق تحقيق التكامل والتمازج والدمج المستمر بين أفـــراد الشعب وفئاته المختلفة .

والأسطورة في محاورة " السياسي " أيضا تلعب دورا هاما حيث أنها تسهم في إبراز المعنـــى الحقيقي لصنعة السياسة. تذهب الأسطورة إلى أن هناك ثلاثة أنواع من الخطر الـــذي يـــهدد البقـــاء الإنساني وهى القحط والحر الشديد أو البرد الزمهرير والحرب. (٦) نشأت فنون أو حرف مثل الزراعة و الرعي لمواجهة الخطر الأول ، وظهرت صنعة الحياكة والتي تسمى أيضا صنعة اتقـــاء الـــبرد ἀμυντικη χειμώνων لمواجهة الخطر الثاني ، أما الخطر الثالث وهو الحرب فقد ظـــهرت لمواجهته صنعة السياسة، وفى محاورة السياسي نجد تفسيرا للسياســـة بأنـــها فـــن تفـــادى الحـــرب ἀμυντικη (٧) πολεμοῦ ، أي الفن الذي يواجه الخطر الذي يهدد بقاء دولة المدينة التي قـــد تدمرها الحروب . ومن أجل تفادى هذا الخطر يستخدم فن السياسة أسلوب الدمج συμπλοκή الذي يمزج مجموعتين مختلفتين من سكان المدينة سنعرف من خلال المحاورة أن المجموعة الأولـــى هي التي فطر أشخاصها على الشجاعة والجرأة ἀνδρεῖοι والثانية هى التى فطر أصحابـــها علـــى

الاعتدال أو الحكمة σωφρονές وستكون لنا وقفة فى هذا البحث نتحدث فيها بالتفصيل عن نظرية أفلاطون في ضرورة دمج هاتين الفئتين من أجل الوصول إلى أفضل أشكال ممارسة الحكم .

أثر المعرفة بالأمور الكبرى أو الجهل بها على دولة المدينة :

عندما يوجه الغريب السؤال التالى إلى سقراط :

θαυμαχουμεν δητα, ω Σωκρατες, εν ταις τοιαυταις πολιτειαις οσα χυμβαινει γιγνεσθαι κακα και οσα χυμβησεται, τοιαυτης της κρηπιδος υποκειμενης αυταις, της κατα γραμματα και εθη μη μετα επιστημης πραττουσης τας πραχεις η ετερα προσξρωμενη παντι κατα δηλος ως παντ αν διολεσειε τα ταυτη γιγνομενα [٨].

"إذن هل لنا أن نتعجب يا سقراط من مثل هذه الشرور التي تنشأ والتي سوف تنشأ مستقبلا فى مثـل هذه الحكومات، طالما أنها تصرف أمورها وفقا لقوانين وأعراف مكتوبة (مدونة) بدون معرفـة، لأن الجميع يمكن أن يدرك أن أي فن آخر يمارس على هذا الأساس سيدمر كل أعماله التي أنتجها؟"

ثم يستشهد بصاحب حرفة أخرى وهو ربان السفينة ليقول:

καθαπερ πλοια καταδυομεναι διολλυνται και διολωλασι, και ετι διολουνται. δια την των κυβερνητων και ναυτων μοξθηριαν των περιτα μεγιστα μεγιστην αγνοιαν ειληφοτων, οι περι τα πολιτικα κατ' ουδεν γιγνωσκοντες ηγουνται κατα παντα σαφεστατα πασων επιστημων ταυτην ειληφεναι [٩].

أي:

" مثل السفن التي تحطمت وتتحطم وسوف تتحطم مستقبلا بسبب نقص كفاءة ربانها وأطقمها الذين يتصفون بجهلهم الشديد بالأمور الكبرى فكذلك الحال مع هؤلاء الذين لايعرفون ممارسة السياسة ويعتقدون أن لديهم معرفة كاملة بهذه العلوم كلها من كافة جوانبها"

عندما يوجه الغريب هذا السؤال إلى سقراط يرد سقراط بالإيجاب αληθεστατα وهكذا فمن الفقرتين السابقتين يتضح أن الغريب الإيلي يود أن يطرح على سقراط التساؤل على النحو التالي:

هل دوله المدينة التي يحكمها ساسة يفتقرون إلى المعرفة επιστημη ويحتكمون فقط إلى عادات ولوائح مدونة γραμματα και εθη تعانى الأن وسوف تعانى في المستقبل من الشرور kaka فيرد سقراط بأن أي صنعة أخرى أو أي حرفة أخرى إذا مارسها أصحابها على أساس من هذا الجهل بالأمور الكبرى سوف تدمر أعمالها أو إنتاجها.

ولكن ما هو المقصود بالأمور الكبرىτα μεγιστα في السياسة وما هي علاقتها بالعمل الحقيقي πραγμα αυτο الذي ينبغي أن يؤديه "السياسي لأنه إذا كان غياب هذه الأمور الكبرى هو في الواقع السبب في الدمار المتلاحق الذي يصيب المدن فإن معرفة الأمور الكبرى ينبغي أن تسهم مساهمة فعالة في بقاء دولة المدينة واستمرارها وإنقاذها.

والأمور الكبرى لا يقصد بها أفلاطون هنا المعرفة الأبستمولوجية الشاملة التي اشترط أن تحقق في الحاكم في محاورة "الجمهورية" عندما توصل إلى أن الحاكم الفيلسوف هو الذي يجب أن يحكم المدينة إذا أردنا أن تكون مدينة فاضلة حيث يقول أفلاطون عن هؤلاء الذين يتصفون بالجهل المطبق بالأمور الكبرى انهم هم "الذين لا يعرفون شيئا في الأمور السياسية."

Οι περι τα πολιτικα κατ ουδεν γιγνωσκοντες[١٠].

وهنا يشبه أفلاطون " السياسي " بربان السفينة الذي يعمل دائما من أجل مصلحة السفينة وركابها وبحارتها ليس عن طريق قواعد أو قوانين مكتوبة بل عن طريق أن يجعل علمه هو القانون ومن ثم

يحافظ على من هم على متن السفينة ويصل إلى نتيجة هامة مؤداهـــــا أن الحكومة الصالحة هـــي التي يحكمها رجال يجعلون المعرفة أو العلم أقوى من القوانين حيث يقول :

ουτω και κατα τον αυτον τροπον τουτον παρα των ουτως αρξειν δυναμθενεν ορθη γιγνοιτ αν πολιτεια, την της τεξνης ρωμην των νομων παρεξομενων κρωιττω ; (11)

" ألا تكون الحكومة صالحة على هذا النحو إذا حكمها رجال على هذا المبدأ أي رجال يجعلون العلم أقوى من القوانين ؟"

وهنا يظهر مفهوم هام للغاية وهو مفهوم الإنقاذ . إن هذا المفهوم يلعب دورا هاما هنـــا فـــي تعريف حرفة السياسة.فطالما كان رجال السياسة ملتزمين بالإدارة العادلة التي تكفل تحقيـــق المنـــافع لصالح الرعية عن طريق قيادة حكيمة وواعية لدولة المدينة فإنهم سوف ينجحون في إنقاذ رعيتـــهم ويظهر مفهوم الإنقاذ بوضوح عندما يتحدث الغريب عن ربان السفينة وعن الطبيب لتقريب صـــورة الحاكم أو السياسي فكلاهما إذا شاء أنقذنا :

ον μεν γαρ αν εθελησωσιν ημων τουτων εκατεροι σωζειν, ομοιως δη σωζουσιν .

وكلاهما إذا شاء عذبنا :

ον δ αν λωβασθαι βουληλωσι, λυβωνται. (12).

وذلك عن طريق تقطيعنا وحرقنا وإصدار الأوامر إلينا بدفع الأموال كما لو كانوا يحصلون منا الضرائب هذا بالنسبة للطبيب الذي يضرب به أفلاطون المثل لتقريب صورة الحـــاكم أو السياســـي. فيقول في الذين يمارسون مهنة الطب (الأطباء) :

Τεμνοντες και καιοντες και προστaττοντες αναλωματα φερειν παρ εαυτους οιον φορους ων σμικρα μεν εις τον καμνοντα και ουδεν αναλισκουσι, τοις δ αλλοις αυτοι τε και οι οικεται ξρωνται και δη και τελευτωντες η παρα χυγγενων η παρα τινων

εξθρων του καμνοντος ξρηματα μισθον λαμβανοντες αποκτιννυαασιν[١٣].

" انهم يشرحوننا ويحرقوننا ويأمروننا بدفع التكاليف المادية كما لو كانوا يحصلون منـــا ضرائب فيصرفون قليلا منها على المرضى وقد لايصرفون منـــها شيئـا علــى الإطــلاق عليــهم، ويستخدمون هم ومن يخدمونهم الباقى، ويصل بهم الأمر أيضا إلى قبول الرشاوى من أقارب المريض أومن أعدائه ليتسببون فى قتله ".وبالنسبة لقباطنة السفن يقول فيهم :

οι ταυ κυβερνηται μυρια ετερα α τοιαυτα εργαζονται, κατα λειποντες τε εκ τινος επι βουλης εν ταις αναγεγαις ερημους, και σφαλματα ποιουντες εν τοις πελαγεσιν εκβαλλους, εις την θαλατταν, και ετερα κακουργουσιν'.[١٤]. '

" فهم يرتكبون أخطاءا لا حصر لها من هذا النوع حيث يدبرون المؤامرات ويلقون بنا علـــى الشواطئ المهجورة عنــــدما يبحرون ويتسببون في قلقنا في وسط البحار ويلقــون بنـــا فـــي المـــاء ويقترفون فواحش أخرى كثيرة " .

ونقف قليلا هنا لنتساءل ولماذا لا يقارن هنا فن السياسة بفن الحياكة؟ ألم يكن فن الحياكة فـــي محاورة السياسي هو الفن الذي أستخدمه أفلاطون كناية عن فن السياسة كما أوضحنا من قبل ؟

والإجابة بسيطة على هذا التساؤل وهى أن فن الحياكة يكون نافعا أو مفيدا لتوضيـــح بعــض جوانب معينة فقط وإبرازها في فن السياسة مثل:

١- دمج مكونين اجتماعيين مختلفين في إنتاج واحد.

٢ - لتوضيح حقيقة بعينها وهى أن هناك فنونا أخرى عديدة تندرج تحت الفن الأسمى أو الفن الرئيسي ، ورغم أنها جميعا تساهم بطريقتها الخاصة والمختلفة فهي لا تنتج مع ذلك الشـــيء الفعلـــي أو العملي το πραγμα αυτο وإنما تعمل كفنون مساعدة.

٣ - إدراك أن الفنون الفرعية يجب أن تقوم بعملها التحضيري قبل أن يتمكن فن السياسة مــن تقديــم إسهامه وإنجازه المطلوب.

ويمكن أن نفسر أن فن الحياكة الذي يلعب هذا الدور البارز في محاورة السياسي لم يذكر فــي هذه المناسبة لتقريب مفهوم فن السياسة بحقيقة هامة أخرى وهى أن مفهوم القوة أو السلطة وممارستها على الآخرين يصعب توافره في فن الحياكة وهكذا عندما تكون السلطة هي المفهوم الأساسي عند عقد المقارنة بين فن السياسة وفنون أخرى، نجد أفلاطون يركز في هذه الفقرة على حرفتين أخريين همـــا قيادة السفينة والطب. لأن الأفراد الذيـــن يمارســـون هـــاتين الحرفتيـــن تطلـــق عليـــهم صفـــة (١٥) αυτοκρατορες (أي الذين يملكون سلطة مطلقة) على أساس انهم يمارسون سلطة كبيرة علـــى الآخرين .

كذلك يمكن القول بأن مقارنة السياسي بالطبيب الذي يتعامل عادة مع أفراد من الشعـــب تبيـــن القوة أو السلطة التي يمارسها السياسي على الأفراد، فكما يشرح الطبيب الأجسام ويحرقها قد يتحـــول السياسي إلى طاغية فيطرد الناس وينفيهم من المدينة. إنه يؤذى ويقتل منا من يشاء وقتما يشاء :

λωβασθαι δε και αποκτιννυναι και κακουν ον αν βουληθη εκαστοτε ημων (١٦)

المقارنة تكشف التهديد الداخلي الذي يكون مصدره رجل الدولـــة أو السياســـي. والمفـــترض بطبيعة الحال عند المقارنة أن ندرك أن الطبيب الذي يضرب به المثل هنا هو الطبيـــب الـــذي يســـئ استخدام سلطته أو وظيفته.

وفى المقابل فإن ربان السفينة يكون مسئولا عن مجموعة كبيرة من الناس مـــع الأخـــذ فـــي الاعتبار أنه قد يكون لبعض الركاب أخطار على البعض الآخر، ولكن عندما نتحدث عن أخطار السفر بالسفينة فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو أن المقصود بهذه الأخطار ما يأتي من الخارج ويهدد حيـــاة المسافرين مثل التيارات المائية الشديدة السرعة والرياح العاتية وقبـــل هـــذا وذاك قراصنـــة البحـــر

والأعداء وهكذا فإن مقارنة السياسي بربان السفينة تشير إلى المسئولية الملقاة على عاتق الربان عندما تتعرض سفينته ومن عليها للخطر الخارجي ، لذلك فإن المقارنة مع ربان السفينة تـدل أيضـا علـى مسئولية السياسي في إدارة السياسة الخارجية لدولة المدينة(١٧).

هكذا عقد أفلاطون المقارنة بين "السياسي وكل من الطبيـب وربان السفينة لأغـراض هامـة يمكن إيجاز ها فيما يلي:-

١ - لتحديد مهام السياسي.

٢ - لبيان مدى سلطاته ومدى نفوذه إذا أراد أن يسئ استخدام هذه السلطة أو ذلك النفوذ في السياسـة الداخلية.

٣ - لتحديد مسئولية السياسي في إنقاذ دولة المدينة عندما تتعرض للخطر الخارجي.

إن ما يمارسه الطبيب أو ربان السفينة مـن سلطات ليدل على أن كلاهمـا صـاحب نفـوذ αυτοκρατωρ ومن ثم فإن لديهما الفرص الكافية لإساءة استخدام السلطة وإذا فكرنا في تحديـد سلطاتهما بالقانون سنجد من العبث حيال المخاطر التي تحدث أثناء الإبحار أو أثناء معالجة مريض في حالة حرجة أن تحدد سلطات الربان أو الطبيب بقوانين أثناء تأديته لمهمته الأساسية وهي إنقاذ السفينة أو إنقاذ المريض(١٨) . لذلك إذا قلنا أن عملية الإنقاذ σωζειν هي جزء من المهمـة المنـوط بـها السياسي لمن الممكن أن نربط بين الإنقاذ والمخاطر التي تنجم عن أسباب خارجية من أجل انقاذ دولة المدينة .

علاقة فن السياسة بالحرب :

يعود أفلاطون مرة ثانية إلى المقارنة بين فن السياسة وفن الحياكة. فيتكرر المصطلـح الـدال على هذا الفن أكثر من مرة :

النسج	συνυφαινουσα
فن الحياكة	υφαντικη

السياسي βασιλικη συμπλοκη (١٩)

وكان المقصود من عـــودة أفلاطون إلى فـــن الحياكة ليفسر به فن السياسة هو توضيـــح نظريته في الـــدور الهـام الذي ينبغي أن يؤديه السياسي. وقد سبق أن قلنا أن السياســـي الحقيقـي هـــو صـــاحب القـــدرة على توحيد العناصر المختلفة والمتباينة من أجل الحفـــاظ على كيـان دولة المدينة الواحد، تماما مثلما يفعل الحائك في دمج خيــوطه المتعددة فيؤلف منهـا ملبسا واحـــدا يمـــيزه الانسجـام والليـاقة ويقي الإنسان مـن الحـــر القانظ أوالبرد القارس . ولكـــن مـــا هي العنـــاصر المختلفـــة أو المتناقضة التي تقتضي تدخل السياسي للتوحيد بينها؛ أو لدمجها فـــي اتحاد واحد؟ ثم لماذا يقوم السياسي بهذا الدور ؟

يمكننا أن نجيب على هذه التساؤلات إذا تتبعنا مناقشة أفلاطون للعلاقة بين الشجاعة (الجـــرأة) ανδρε والاعتدال (الحكمة) σωφροσυνη والآثار العسكرية والسياسية للعلاقة بيـــن هـاتين الصفتين.

لقد وردت العلاقة بين هاتين الصفتين في محاورة "الجمهورية " أيضا. ولما كـــان أفلاطـــون يتناول هذه العلاقة في المحاورتين بطريقة مختلفة ولكنها طريفة فـأرى أن نقــف قليـــلا أمـــام هـــذا الاختلاف.

في الجمهورية المشكلة الأساسية هي أن الحراس الذين بوصفهم جنودا محترفين ومدربيـــن سيتولون مسئولية الحفاظ على الأمن داخل المدينة – يجب أن يمتلكوا صفتين تبدوان متناقضتين ولكنهما ليســـا كذلك ، إذ يجب أن يتسموا بالود والتسامح والرفق في معالجتهم الشئون الداخلية لدولـــة المدينـــة وأن يكونوا كذلك رفقاء فيما بينهم وبين المواطنين وفى الوقت نفسه أشداء على الأعداء. ولكن كيف نضمن ألا يتحول الحراس من مدافعين أشداء عن المدينة إلى القسوة والشدة والعدوانية على المواطنين داخـــل دولة المدينة وهي صفات يجب أن يلجأوا إليها فقط في التعامل مع أعداء المدينة ؟

يقول أفلاطون ردا على ذلك:

δεινοτατον γαρ που παντων και αισξιστον ποιμεσι τοιουτους γε και ουτω τρεφειν κυνασ επικουρους ποιμνιων, ωστε υπο ακολασιας η λιμου η τινος αλλου κακου εθους αυτους τοις κυνας επιξειρησαι τοις προβατοις κακουργειν και αντι κυνων λυκοις ομοιωθηναι. (٢٠)
ουκουν φυλακτεον παντι τροπω, μη τοιουτον ημιν οι επικουροι ποιησωσ, προς τους πολιτας, επειδη αυτων κρειττους εισιν, αντι, ξυμμαξων ευμενην δεσποταις αγριοις αφομοιηθωσιν;

أي :

إن ابشع الأشياء وأكثرها عارا على الإطلاق بالنسبة للرعاة هو أن يغذوا الكلاب التي تساعدهم مع قطانعهم لدرجة أنها تهاجم القطيع وتلحق به الأذى بسبب الفرضى (الهرج والمرج) أو الجوع أو أي ظرف آخر فيصبحون أقرب إلى الذئاب منهم إلى الكلاب ".

ألا ينبغي علينا أن نحترس بكل الطرق من المساعدين (المعاونين) الذين يعاملون المواطنين بهذه الطريقة، الذين عندما يصبحون أقوى يتحولون هم أنفسهم من حلفاء ومساعدين إلى أسياد مستبدين ؟ وكما يتضح من النص فإذا لم يكن في الإمكان تفادى خطر هؤلاء الناس فإنهم يلحقون حتما الدمار بدولة المدينة لأن دورهم فيها ليس إلا حمايتها والدفاع عنها أمام الأخطار الخارجية التى تتعرض لها. ومعنى هذا أننا نجد شفي "الجمهورية" أن مناقشة العلاقة بين الشجاعة والاعتدال إنما تتعلق برسم السياسة الداخلية لدولة المدينة.

أما في "محاورة السياسي موضوع دراستنا نجد أن العلاقة بين الشجاعة والاعتدال تتعلق بالسياسة الخارجية لدولة المدينة، وأن التوازن في هذه العلاقة هو الوظيفة الحقيقية التي يؤديها السياسي ، ويجب أن يكون قادرا على تحقيق هذا التوازن من أجل بقاء دولة المدينة. ومن ناحية

أخرى فإذا لم يكن السياسي قادرا على تحقيق التوازن بين الاعتدال والشجاعة قد تتعرض دولة المدينة للدمار. ولكن كيف ؟

يرى أفلاطون -في "محاورة السياسي"- أن في دولة المدينة مجموعتين مختلفتين من المواطنين، والاختلاف الأساسي بينهما هو اختلاف في الشخصية، مجموعة وصف أصحابها بالشجاعة والجـــرأة ανδρειοι [٢١] والأخـــرى وصف أصحابها بـــالاعتدال أو الحكمـــة σωφρονες [٢٢] إن لـــهذا الاختلاف السيكولوجي تبعات أو نتائج سياسية بعيدة المدى.فالمعتدلون من ناحية والشجعان من ناحيـــة أخرى عندما يصدرون أحكاما على الخير والشر وعلى الجمال والقبح أو ما شابه ذلـــك فإنـــهم إنمـــا يفضلون ما يتفق مع طبيعتهم φυσις ويرفضون السلوك المضاد لسلوكهم كما يرفضون كـــل مـــا ينتمي إلى طبيعة الآخرين :

κατα γαρ οιμαι την αυτων εκατεροις χυγγενειαν τα μεν επαινουντες ως οικεια σφετερα ' εφ ετερα τα δε των διαφορων ψεγοντες ως αλλοτρια, πολλην εις εξθραν αλληλοις και πολλων περι καθιστανται [٢٣].

أي :

لأن الرجال الذين ينتمون إلى الفئتين - في اعتقادي - يمتدحون بعض الصفات الخاصة بـــهم ويرون في صفات معارضتهم (أضداد هم) العيوب أو النقائص لأنها غريبة عليهم ومن هنـــا ينشـــأ الصراع بين الفئتين في جوانب كثيرة .

ويرى أفلاطون أن هذا الاختلاف أو التعرض بين هاتين الفئتين المكونتين للمجتمع يكون أمرا تافها ولا يعتد به طالما لا يؤثر على الأمور الكبرى، لأنه إذا أثر عليها فإنه يصبح مرضا لعينا علـــى دولة المدينة [٢٤] .

ولكن ما هي الأمور الكبرى ؟

عندما يحكم المعتدلون المدينة فإنهم لا يسلكون طريق الاعتدال مع رفاقهم المواطنين داخل دولة المدينة فحسب ، بل أيضا مع المدن الأخرى أي في سياستهم الخارجية أيضا. وهم غالبا يميلون إلى الحياة الهادئة المسالمة حتى يتمكنون من ممارسة أعمالهم الخاصة التي تعود عليهم بمنافع كثيرة ولكن إذا كان هذا هو سلوكهم مع جميع المواطنين داخل دولة المدينة οικοι فهم بنفس القدر يميلون إلى المحافظة على السلام بطريقة أو بأخرى (بأي طريقة) مع المدن الأخرى εξωθεν (٢٥) πόλεις وبسبب هذه الرغبة الخاصة لديهم وبسبب طبيعتهم المسالمة الزائدة عن الحد فإنهم لا يحبون الحرب ويدعون دائما إلى السلام بل ويعلمون الصغار من الأجيال الصاعدة هذا النمط من السلوك فتكون النتيجة أنه بعد وقت قصير يصبح المراطنون أقل صلابة مما ينبغي بحيث إذا تعرضت المدينة لهجوم أو عدوان لا يستطيعون الدفاع عنها، وسرعان ما يسلمون للمعتدين فيعرضون دولة المدينة إلى الاستعباد من بعد حرية :

και δια τον ερωτα δη τουτον ακαιροτερον οντα η ξρη, οταν α βουλονται πραττωσιν, ελαθον αυτοι τε απολεμως ιοξοντες και τους νεους ωσαυτως διατιθεντες, οντες τε αει των επιτιθεμενων, εχ ων ουκ εν πολλοις ετεσιν αυτοι και παιδες και χυμπασα η πολις αντ ελευθερων πολλακις ελαθον αυτους γενομενοι δουλοι .

"وبسبب رغبتهم هذه التي غالبا ما تكون زائدة عن الحد (غالبا ما تكون أكثر مما ينبغي)، عندما يفعلون ما يريدون فإنهم يصبحون-دون أن يشعروا -غير محاربين ويجعلون الشباب مثلهم أيضا لا يحب الحرب، ويقعون تحت رحمة المعتدين. وفي سنوات قليلة (في سنوات ليست بالكثيرة) يتحولون هم αυτοι وصغارهم παιδες ودولة المدينة بأسرها χυμπασα η πολις من أحرار إلى مستعبدين " .

ولا غرابة-ونحن نتابع أفلاطون-أن نجد أن هذه هي أيضا النتيجة الحتمية لدولة المدينة إذا كان حكامها على النقيض من المعتدلين المسالمين. فإذا كان حكام المدينة أكثر إقداما وأكثر جرأة مما

ينبغي ويتعطشون دائما للحرب بمناسبة وبدون مناسبة حتى عندما تقتضي الحكمة تجنب هذه الحــرب فإنهم يلحقون الدمار بدولة مدينتهم في أقصر وقت وهذا المعنى هو ما تشتمل عليه الفقرة التالية مــن محاورة " السياسي " :

τι δ οι προς την ανδρειαν μαλλον ρεποντες; αρ ουκ επι πολεμον αει τινα τας αυτων χυντεινοντες πολεις δια την του τοιουτου βιου σφοδροτεραν του δεοντος επιθυμιαν εις εξθραν πολλοις και δυνατοις κατασταντες η παμπαν διωλεσαν η δουλας αυ και υποξειριους τοις εξθροις υπεθεσαν τας αυτων πατρίδας ; (٢٦)

ولكن ماذا عن هؤلاء الذين يميلون إلى الشجاعة (الجرأة) ؟ ألا يزجون بمدنهم باستمرار إلــى الحرب بسبب رغبتهم المفرطة في حياة ملؤها الحروب، ويورطون مدنهم في عدا وات مع عدد كبير من الخصوم الأشداء فيدمرون أوطانهم عن آخرها أو يجرونها إلى الاستعباد؟ ".

هكذا يتبين إن الإفراط في الشجاعة مثل التفريط فيها كسلوك من جانب حكام دولة المدينة فــي سياستهم الخارجية يؤدى إلى دمارها والى استعبادها. و هذا الدمار الذي يلحق بدولة المدينة إنما هــو المقصود من العبارة التالية التي قالها الغريب:

'περι δε τα μεγιστα νοσος χυμβαινει πασων εξθιστη γιγνεσθαι ταις πολεσιν.' (٢٧)

"عن المــرض الذي يعد أخطر الأمراض التي تصيب دولة المدينة"

الأسطورة في محاورة " السياسي " تهدف إلى ضرورة تنظيم المجتمع كله فتحكــى أنــه منــذ الانــتقال إلى عصر " زيــوس " و إنقاذ الجنس البشرى هو الهدف والغاية وأن الآلهــة بســبب مــا يتعرض له بقاء البشر و حياتهم من مخاطر وهبت هؤلاء البشر الفنــون أو الصنعــات المختلفــة τεξναι (٢٨) وبما أن السياسة كانت واحدة من هذه الفنون أو الصنعات فإننا إذا نظرنا فــي ضــوء

الأسطورة إلى فن السياسة (صنعه السياسة) نجد أنه هو الفن الذي يصنع دولة المدينة كنسيج واحد υφασμα[٢٩] ، فيحمى المواطن الإنسان من الأعداء الخارجين.

هكذا نرى في نهاية محاورة " السياسي " أن الجدل حول الشجاعة و الاعتدال يبين ما للإفراط فيهما من خطر يهدد دولة المدينة و بقاءها. و لذلك فإذا لم تتناول السياسة هذه المشكلة و تبحث بجدية في آثارها إذا و لم تكن قادرة على حل هذه المشكلة فليست هي فن أو صنعة السياسة كما يريدها أفلاطون .رأينا فى الفقرات السابقة الصفة المصيرية المزدوجة : الاعتدال الذي يصل إلى حد التفريط و الشجاعة التى تصل الى حد الإفراط . رأينا هؤلاء الذين عرفوا بالاعتدال الزائد عن الحد:

οι μεν γαρ δη διαφεροντως οντες κοσμιοι [٣٠]

ورأينا في المقابل هؤلاء الذين عرفوا بالجرأة الزائدة لمجرد أنهم يحبون الحياة العسكرية و يقبلون عليها بنهم شديد :

την του τοιουτου βιου σφοδροτερεν του δεοντος επιθυμιαν. [٣١]

وأري أن تكون لنا وقفة هنا مع ما ورد في محاورة الجمهورية و له صلة بهذا الموضوع ففي "الجمهورية" نرى ما يلي فيما يتعلق بالأنشطة المالية والتجارية للمواطنين في ظل النظام الديموقراطي :

ξρηματιχομνων που παντων, οι κοσμιωτατοι φυσει ως το πολυ πλουσιωτατοι γιγνονται. [٣٢]

عندما يحاول كل الناس تكوين الثروات فإن معظم الناس المطيعين (المعتدلين) بطبعهم هم الذين سيصبحون الأكثر ثروة".

وهكذا نكتشف في محاورة "الجمهورية" أن هناك علاقة بين أن يكون المواطن معتدلا (مداهنا) و أن يكون غنيا، و بالتالي فإذا كانت هناك مخاطر تهدد دولة المدينة التي يحكمها معتدلون نمطيون διαφεροντως κοσμιοι تكون النتيجة هي أن حكم هؤلاء الذين يفرطون في الاعتدال

إذا يوجد في نمط الدولة التي يحكمها الأغنياء و التي يكون فيها تكديس الثروات هو الهدف الأساسي للقرارات السياسية ، وهو ما يعرف بين نظم الحكم بالأوليجاركية.(٣٣)

وهكذا نجد تطابقا في المحصلة الأخيرة و هي أن النظم الأوليجاركية تسقط عندما تواجه حروبا. و بذلك يمكن أن نفهم اهتمام محاورة " السياسي " بالقدرة على إنقاذ دولة المدينة التي يحكمها مفرطون في الاعتدال على أنه اهتمام بعجز دولة المدينة الأوليجاركية أو عدم قدرتها على التعامل مع أدق المشكلات المتعلقة بالسياسة الخارجية ألا و هي الحرب.

إن سلوك هؤلاء المفرطين في الاعتدال و هو السلوك الذي يمثل خطرا على بقاء دولة مدينتهم تصفه محاورة " السياسي " أو تفسره بأنه من أجل " أن يحفظوا أنفسهم لأنفسهم و يمارسوا أعمالهم الخاصة " كما تدل العبارة التالية :

αυτοι καθ αυτους μονοι τα σφετερα αυτων πραττοντες. (٣٤)

وفى "الجمهورية" نقرأ نفس العبارة تقريبا το τα αυτου πραττειν لوصف هذا النوع من السلوك الذي يسلكه الناس إذا كان لديهم أكفاء ذاتي αὐταρκη حتى لا يحتاجون إلى أحد وحتى لا يحتاج إليهم أحد. لأنه إذا لم يحتاجك أحد أو يحتاج إلى ما لديك فليس هناك ما يدعوه إلى الهجوم عليك أو شن الحرب ضدك .(٣٥)

أما " محاورة السياسي " فإنها تعتبر ذلك الاكتفاء الذاتيαυταρκη وهما لأن الناس فيما بينهم يحتاجون إلى بعضهم والسبب في ذلك أنه في زمن " زيوس " يتعرض الناس لمخاطر تنجم عن الجوع والبرد والحر والحرب ،كما أنه يوجد في عصر " زيوس " ناس آخرون يعانون ومن ثم يحاولون خطف ما في أيدي الآخرين الذين لا يعانون. والمفرطون في الاعتدالσωφρονες عندما يفكرون فقط فى أنفسهم وفى أشغالهم الخاصة فهم ينسون أنهم لا يعيشون في عصر " كرونوسκρονος " بل فى عصر "زيوس " Ζευσ وفى هذا العصر لا تستطيع أن تحيا مسالما

بهذه الدرجة لأنك إذا كنت تحلم بأنك تستطيع الحياة دون معارك أو حروب απολεμως ιοξειν فسوف تصحو على واقع أليم تتجرد فيه مما تملك في وقت قصير .[٣٦]

إن المفرطين في الاعتدال هم الذين يبغون السلام مع المدن الأخرى بأي ثمن ولا يفكرون في التوقيت المناسب للحرب والسلام. ولهذا السبب أطلق أفلاطون على حبهم للسلام أنه لا يكون في وقته ولاكما ينبغي ακαιροτερος η ξρη[٣٧] لأن فن السياسة يفرض على الحكام أن يتخذوا قراراتهم فيما يتعلق بالحرب في الوقت المناسب. والمفرطون في الاعتدال يستبعدون إمكانية الحصول على أي فائدة من وراء فن الحرب πολεμικη لكن استبعادهم لهذا الفن كأداة من أدوات فن السياسة يعني في الواقع إلغاء فن السياسة وتعطيل فعله ثم يعنى ما هو أسوأ من ذلك :القضاء على دولة المدينة.

وعندما يفعل المفرطون في الاعتدال ما يشاءون οταν τα βουλονται πραττωσειν[٣٨] دون أن يسببوا متاعب لغيرهم فأنما يفعلون ذلك متوهمين أن المدن الأخرى لن تسبب لهم المتاعب وتكون النتيجة أنهم لا يستطيعون شن أى حرب ويربون أبناءهم على هذا النمط من العجز والاستسلام فيصبحوا في أي لحظة ضحايا لآي عدو يهاجمهم، أو كما يقول أفلاطون يقمون تحت رحمة المعتدين:

οντες τε αει των επιτιθεμενων.[٣٩]

وظرف الزمان αει يفيد انه لا استثناء من القاعدة التي تقول أن المفرطين في الاعتدال إذا لم يدافعوا عن أنفسهم سيقعون فريسة للآخرين. أن إنقاذ دولة المدينة والحفاظ عليها يتطلب حكاما قادرين على السيطرة على الصنعة أو الفن اللازم لذلك و هو فن السياسة لأن من يتجاهل فن السياسة مثلما يفعل المفرطون في الاعتدال سيكون السبب المباشر في دمار نفسه و دمار دولته.و مما لا شك فيه أن المقصود من هذا الدمار هو التحول من الحرية إلى الاستعباد :

εχ ων ουκ εν πολλοις ετεσιν αυτοι και παιδες και συμπασα η πολις αντ, ελευθερων πολλακις ελαθον αυτους γενομενοι δουλοι .

" ففي سنوات قليلة فإنهم αυτοι و أبناءهم παιδεφ ودولة المدينة كلها συμπασα η πολις يجدون ان حريتهم ضاعت و صاروا مستعبدين" .

وعلى هذا ألا ساس فإن الدمار هنا يقصد به ضياع الاستقلال السياسي الذي يكون نتيجة حتمية لخضوع دولة المدينة إلى أي دولة أخرى . و على ذلك يكون الدرس المستفاد من الفقرة السابقة أنه فيما يتعلق بالسياسة الخارجية لدولة المدينة فإن التفريط في الشجاعة يكون بدوره مصدرا للدمار والضياع .

وإذا انتقلنا إلى الفقرة التي تتحدث عن الفئة الأخرى التي فطرت على الشجاعة و الإقدام فسوف نتبين أن الإفراط في الشجاعة في مجال السياسة الخارجية يؤدى إلى نفس الدمار والضياع. لأننا نلاحظ في المدن التي يحكمها الشجعان الذين يتسم سلوكهم بمزيد من الجرأة و ينقصه الاعتدال المطلوب أن هؤلاء الحكام الذين لا يشبعون من الحروب والذين لديهم نهم شديد نحو المعارك يورطون مدنهم بالدخول في حروب لا داعي لها ولا طائل من ورائها ومع مرور الوقت يتسببون أيضا في القضاء على دولة المدينة إذا ما فقدت استقلالها بسبب هذا التهور و الاندفاع . وهذا ما توضحه الفقرة التالية من محاورة السياسي :

Ξεν· Τι δ οιπρος την ανδρειαν μαλλον ρεποντες;
αρ
ουκ επι πολεμον αει τινα τας αυτων χυντεινοντες πολεις δια την του τοιουτου βιου σφοδροτεραν του δεοντος επιθομιαν εις εξθραν πολλοις και δυνατοις καταστατντες η παμπαν διωλεσαν η δουλας αυ και υποξειριους τοις εξθροις υπεθεσαν τας αυτων (٤٠) πατριδας;

Νε.ΣΩ.· εστι και ταυτα.

ولكن ماذا عن هؤلاء الذين يميلون إلى الشجـــــاعة أكثر؟ألا يدفعون بمدنهم باستمرار نحـــو الحروب بسبب رغبتهم المفرطة في حياة ملؤها الحرب ويورطون مدنهم في عدا وات مع عدد كبـــير من الخصوم الأشداء فيدمرون أوطانهم عن آخرها أو يجرونها إلى الاستعباد؟"

وكما يتضح من الفقرة السابقة فأن الرغبة في الحرب هي التي تسيطر على نفوس هؤلاء الحكـــام و يؤكد أفلاطون دائما على عنصري الخبرة أو التخصص فـــي رجـل الدولـة أكـثر مـن الـلازم σφοδροτερα του δεοντος. إن المهمة الأولى للسياسي إذن هي إنقاذ دولة المدينة و الاهتمام المتواصل بإيجاد السبل التي تضمن هذا الإنقاذ طالما إن إنقاذ دولة المدينة والحفاظ عليـــها لا يكـــون بالمسالمة و النمطية و الاعتدال المبالغ فيه كما لا يكون بالشجاعة التي هي أكثر مما ينبغي. أذن بقاء دولة المدينة أو إنقاذها بوصفة المعيار الحقيقي لفن السياسة يجب أن يكـــون الاهتمـــام الأول لرجـــل السياسة الذي عليه أن يحدد إلى أي مدى يمكن أن يستفيد من فن الحرب و هذه مســـألة يجـــد حلـــها باستمرار في فن السياسة. و عندما يكون فن السياسة قادرا على طرح الحلول الصحيحة فيما يتعلـــق بشن الحرب من عدمه واختيار الأوقات المناسبة لهذا أو ذاك عندئذ يكون هذا الفن قـــادرا علـــى أداء وظيفته الحقيقية و هدفه الأساسي و هو إتاحة الفرصة للمواطنين لحماية أنفسهم بكفاءة و مـــن خـــلال اتحادهم داخل دولة المدينة ضد أي عدوان خارجي .

وإذا استطاع السياسي أن يحقق الوسط العدل بين المسالمة و الإقدام عندئذ فـــهو يعـــي فـــن السياسة الذي من شأنه الحفاظ على دولة المدينة. ولكن هذا الوسط العدل يمكن تحقيقه فقط من خـــلال التكامل المستمر بين هاتين الفئتين من أفراد الشعب لأنه إذا تولت فئة واحدة فيهما مســـؤلية الحكـــم و رسم السياسة الخارجية لدولة المدينة فإن هذا يكون نذيرا بخطر داهم يهدد حياة دولة المدينـــة.وهـــذا التكامل الضروري بين فئتين على طرفي النقيض هو المقصود عند ذكر فن الحياكةυφαντικη لأن الأداء المحوري في هذا الفن هو عملية الدمج في واحدσυμπλοκη

و يؤكد أفلاطون دائما على عنصري الخبرة و التخصص في رجل الدولـــة، و ربمـــا يسلم أفلاطون بأن يكون رجل الدولة ملكا و لكنه لا ينبغـــي لـــه أن يدعـــى ســـلطة إلهيـــة مثلمـــا فعـــل

بيزستراتوس[٤١].عندما عاد إلى أثينا و معه Πηψε شديدة الشبه بالإلهه أثينا ليخدع الشعب بحكم مؤيد من الآلهة كما لا ينبغي له ادعاء أي صفات كاريزمية مثل تلك التي ينسبها اكسنوفون إلى قورش الأكبر و هو لا يزال في شبابه الأول ، [٤٢] بل المطلوب في الحاكم أن يكون متخصصا في فن الحكم τεξνη βασιλικη وخبيرا به [٤٣] .

وتأكيدا على أهمية عنصر الخبرة يرى أفلاطون أن الخبير في فن الحكم يمكن حتى و هو بعيد عن السلطة أن ينصح الحاكم الذي يتولى السلطة الفعلية في البلاد[٤٤] .و ربما يعكس هذا التأكيد من جانب أفلاطون اهتماما بالدور الذي أداه سولون في هذا المجال و ما قدمه من نصح و مساعدة إلى بيزستراتوس.ذلك أن بلوتارخوس يتحدث عن سولون كمعلم لبيزستراتوس ويقول أنه بمجرد أن دعم بيزستراتوس مكانته في الحكم صار له أسلوبه الخاص في تسيير أمور الدولة لكنه كان يعامل سولون باحترام وتقدير حتى أنه دعاه إلى منزله وصار سولون مستشاره أو ناصحه وقد أثنى على كثير من الإجراءات التي اتخذها بيزستراتوس،أما هو فقد أبقى على معظم قوانين سولون وكان يباشرها بنفسه ويجبر أصدقاءه على أن يفعلوا الشيء نفسه.[٤٥] ورغم أن أفلاطون يسمح بأن يسأل الحاكم أهل الخبرة إلا أنه يرفض أن يطلق على الحكام من أمثال بيزستراتوس و قورش الأكبر لقب سياسي πολιτικος لأنهم يفتقرون إلى مقومات السياسي كما حددها وتعوزهم الخبرة بفن الحكم الذي يعد ضرورة قصوى للحفاظ على دولة المدينة [٤٦] .

ويؤكد أفلاطون على أهمية مرحلة اللعب παιδια ثم مرحلة التعليم παιδεια لأن الأطفال في المرحلة الأولى المبكرة من أعمارهم لا يزالون مادة خام معدة للتعليم ولذلك ففي هذه المرحلة يجب استخدام اللعب كخطوة هامة وكأداة للانتقاء حتى يتم التعرف على خصائص هؤلاء الأطفال فيمكن بعدها تصنيفهم في مرحلة الشباب حسب الصفتين الشجاعة ανδρεια والاعتدال وقبل أن يصبح الطفل حاملا لإحدى هاتين الصفتين فلا جدوى من العملية التعليمية التي تؤدي على المدى البعيد إلى دمج هاتين الصفتين في الطفل الواحد نفسه .

والنص التالي يوضح هاتين المرحلتين :

μετα δε την βασανον αυ τοις δυναμενοις παιδευειν και υπηρετειν προς τουτο αυτο παραδωσει.(٤٧)

أي :

" وبعد الاختبار يعهد إلى من لديهم القدرة بتعليمهم وإعدادهم نحو هذه الغاية."

والمقصود أنه بعد الاختبار عن طريق اللعب يسلم هؤلاء الأطفال الذين تثبت لياقتهم إلى من هم قادرين – حين يعلمون الأطفال – على أن يهبوا أنفسهم وفن التعليم الذي يمارسونه من أجل أهداف سياسية. بمعنى آخر يجب أن يعرف هؤلاء المعلمين أن تعليم هؤلاء الأطفال إنما هو واحد من أهم الأدوات التي يجب إعدادها لإنقاذ دولة المدينة و الحفاظ على كيانها ووحدتها. فبعد انتقاء الشباب اللائق يجب أن يقوم التعليم بدوره وفقا لما يمليه عليه فن السياسة الذي عندما يفعل هذا فإنه لم يصل بعد إلى وظيفته المحددة، فكل هذه الإنجازات رغم أهميتها إلا أنها مجرد عملية تجهيز προπαρασκευαχουσις (٤٨) تسبق الوظيفة المحددة لفن السياسة وهي الدمج συμπλοκη بين الشجعان والمعتدلين. معنى هذا أن فن السياسة يتلقى طبائع جاهزة إذا أظهرت قدرتها على أن تمتزج أو تختلط بطبائع أخرى وعندئذ يتقدم بها نحو عملية الدمج بين "سائر الناس الذين تكون طبائعهم قادرة – من خلال التربية – على أن تخلق شيئا جميلا ونبيلا كما تكون قادرة على أن تتوحد وتندمج فيما بينها" (٤٩) .

وهكذا يؤكد أفلاطون في المحاورة أن الوظيفة الأساسية التي يؤديها فن السياسة هي محاولة توحيد التوجهات المتعارضة ودمجها معا. أما السبيل إلى تحقيق هذا فقد اختار له أفلاطون طريقتين:طريقة إلهيه وطريقة بشريه. حيث يقول عن هذا الفن :

πρωτον μεν κατα το χυγγενες το αειγενες ον της ψυξης αυτων μερος θειω χυναρμοσαμενη, δεσμω, μετα δε το θεον το ζωογενες αυθις ανθρωπινοις.(٥٠)

" أنه أولا يربط الجزء الأبدي في أرواحهم برباط إلهي، يكون هذا الجزء شبيها به وبعد ذلك يربط الجزء الحيواني فيها برباط بشري"

والمعنى هو أن الرأي الصحيح حول الشرف والعدالة والخير هو رأى إلهي وعندما ينشأ في أرواح البشر فإنه إنما ينشأ في الأجناس الشبيه بالآلهه. والطريق الإلهي هو الأهم بحيث إذا تم إدراكه فلا صعوبة في إدراك وخلق الطريق البشرى. والطريق الإلهي يوصف بأنه الرأي الصحيح في عملية الدمج فيما يتعلق بالقيم مثل الخير والحق والجمال والتي تشكل معيار الدستور.
وعندما ينشأ شفى نفوس البشر الرأي الصحيح حول ماهية الخير والحق والجمال – وأضداد هذه الفضائل أو لقيم–وهو الرأي الذي يقوم على الحقيقة المطلقة ويصبح مبدأ وتقليدا ثابتا وراسخا فإن هذا المبدأ (أو التقليد) يكون بمثابة كشف للحلول الإلهي في الجنس البشرى. إن اتحاد الشجاعة والاعتدال داخل نفوس الأفراد لهو الصياغة الأولى للشيء العملي πραγμα αυτο ذاته المقصود من فن السياسة الحقيقي .

ولكن كيف يحقق السياسي هذا الهدف العملي ؟

من المألوف أن يتزوج الناس بمن هم على شاكلتهم تحقيقا لمبدأ الشبيه يدرك الشبيه. فهذا المبدأ يحقق لهم الراحة والائتلاف فيرحبون ويسعدون للغاية بالاقتران بأشباههم προσομοιοι ولا يطيقون من ناحية أخرى الاقتران بمن يختلفون عنهم . ανομοιοιولكن أفلاطون يرى أنهم في ذلك يسعون إلى إشباع عاجل لرغباتهم:

ν εν τω παραξρημα διωκοντες ρασωνην.[٥١]

فيقبل المفطورون على الشجاعة على أمثالهم ويقبل المعتدلون (النمطيون)على أمثالهم. والسياسي بوصفه يفكر في نتائج ما يفعله على المدى البعيد وبوصفه–حسبما تقتضيه وظيفته–بعيد النظر فإنه يرى أنه إذا حدث التزاوج بين الشجعان وأمثالهم فإن الذرية القادمة بعد

عدة أجيال سيكون من شيمها العنف والغطرسة υπριστικα και μανικα والوحشية θηριωδη τινα φυσιν [٥٢] وإذا تزوج المعتدلون من معتدلين أمثالهم فسوف تكون الذرية القادمة بعد عدة أجيال أكثر جبنا وخنوعا δειλα και βλακικα [٥٣] واقل استجابة لتحديات الحياة .

يجب أن يكون السياسي واعيا لتبعات هذه العادات التي تمارسها المائلات المختلفة ولذلك فإن مسئوليته فى هذا الشأن تحتم عليه أن يمنع الزواج على هذا النحو، أي يمنع الزواج بين أفراد يتمتعون بنفس الطبائع. وواجبه هو القيام بعملية المزاوجة بين المعتدلين والشجعان [٥٤].

وهكذا فإن سياسة الزواج بوصفها عملية مزاوجة بين الشجاعة والاعتدال تقدم نفسها كأساس بيولوجى لعملية المزاوجة الإلهية، لأنه بدون مزاوجة إنسانية لا وجد فرصة للمزاوجة الإلهية.
وهنا ينبه أفلاطون في نهاية المحاورة إلى أن الوظائف السياسية يجب أن يشغلها دائما أفراد من المجموعتين السابقتين :

(٥٥) τας εν ταις πολεσιν αρξας αει κοινη τουτοις επιτρεπειν.

أى:

"عليه أن يعهد دائما إلى المجموعتين معا بالمناصب السياسة فى الدولة " .

خـــــاتمـة

يتضح من المحاورة إن إنجاز فن السياسة يتمثل أساسا في المزاوجة بيـــن المواطنيـــن الذيـــن فطروا على لشجاعة والمواطنين الذين فطروا على لاعتدال ,والهدف الأسمى من هذا الإنجــــاز هـــو وحدة دولة المدينة والحفاظ علي نظامها القائم والحيلولة دون تحول دولة المدينـــة إلـــى الاســتعباد أو وقوعها في قبضة الاحتلال الأجنبي بفعل الإفراط في الاعتدال أو بفضل الشجاعة الزائدة عن الحـــد . إن وحدة المدينة هي أداة إنقاذها وإنقاذ مواطنيها .

من مجموع الفقرات التي تحدد دور السياسي في المحاورة نلاحظ أن المهمة الأولى للسياســـي ليست هي السعادة εὐδαιμονία كما هو معروف كفاية أخلاقية وراء كل فعل سياسي بل المهمة الأولي له هي الحياة ζῆν أو البقاء σῴζειν بمعنى استمرار حياة دولة المدينة وإنقاذها مـــن كـل خطر يهدد حياتها أو كيانها .

ونلاحظ أيضا أن المحاورة تكاد تقصر – ألا فيما ندر – دور السياسي على تصدية للأخطـــار التي تتعرض لها المدينة من الخارج . وقليلا ما تركز على معالجته للأخطار الداخلية .
كما نلاحظ أن أفلاطون يقدم في نهاية المحاورة حلا عاجلا للمشكلة القائمة بفصـــل الـــتزاوج بيـــن الشجعان وبعضهم وبين المعتدلين وبعضهم على نحو ما جرت علية العادة بين العائلات من هذه الفئة أو تلك فحتى نتفادى خلق أجيال تميل إلى العنف والوحشية إذا كانت شيمتها الشجاعة وحتـــى نتفـــادى خلق أجيال تميل إلى الجبن والخنوع إذا كانت المسالمة والنمطية من طباعها ينصح أفلاطون بالتزاوج بين هذه الطباع فيكون قادرا على اتخاذ قرار الحرب أو قرار السلام في الوقت المناســب . وإلـــى أن يتحقق خلق مثل هذا الجيل بسبب هذه العوامل الوراثية المشتركة ينبه أفلاطون إلى أنه حل المشكلـــة القائمة آنذاك إنما يكون عن طريق إشراك عناصر من الفئتين معا فـــي العمـــل السياســـي أو شغـــل المناصب السياسية في الدولة بالتساوي بما يضمن تحقيق التوازن .

ملاحظات

(١) Aristole , Politics 1252 b21-1253 a3.

(٢) هذه هي جملة أرسطو الشهيرة التى اعتدنا ترجمتها بأن الإنسان حيوان سياسى او مدنى بطبعه وحول ما يكتنف هذه الترجمة من لبس او غموض راجع:

Crawford M.and Whitehead D., Archaic and classical Greece, London 1983 P.27.

(٣) Homeros, Iliad IX ,63 .

(٤) Plato , Statesman 281-E .

(٥) Plato, Statesman 279 E-5 .

(٦) Ibid 271-E-272 B

(٧) Ibid 274-C-272 A4-275 B2.

(٨) Plato Statesman301 E6 .

(٩) Ibid 301 E

(١٠) Plato, Statesman B 1-2 .

(١١) Plato, Statesman, 269-E A- 297 AI .

(١٢) Ibid, 298 A-1-6

(١٣) Plato, Statsman 298 A 5-8 B 1- 7

(١٤) Ibid 298 C

(١٥) Plato, Statesman 298 B7 - Cl .

(١٦) Ibid, 301 - D 3 .

(١٧) الأخطار التي تنشأ عن الرياح وتيارات المياه في البحر:

του ξκινδυνους τε προς αυτον τον πλουν ανεμων και θαλαττης

(Statesman 298-D3)

والأخطار التي تنشأ عن القراصنة أو السفن الأخرى المعادية:

περι και προς τας τοις λησταις εντευχεις, και εαν ναυμαξειν αρα δεη που μακροις πλοιοις προη ετερα τοιαυτα.

(١٨) Plato, Statesman 298 E 2.

(١٩) Ibid ,306 A- 305 A.

(٢٠) Plato, Republic 416 A ,B

(٢١) Plato, Statesman 306 A 12 307 C3

(٢٢) Ibid 306 B3-307 B 2:-

" الاعتدال الذي تشير إليه الصفة σωφρονες لا يعني بالقطع الوسطية في هذه المحاورة وكما سوف يتضح من المناقشة فإنه يعني المسالمة أو التفريط في الشجاعة. وبالمناسبة أفلاطون يستخدم أيضا لهذه الفئة صفة أخرى هيκοσμιοι

((306 A12 -307C3

(٢٣). Plato, Statesman,307D 3- 4.

(٢٤) Plato, Statesman307 D 7 :-

παιδια τοινου αυτη γε τις η διαφορα τουτων εστι των ειδων. περι δε τα μεγιστα νοσος χυμβαιηει ποσων εξθιστη γιγνεσθαι ταις

(٢٥) Ibid 307 E2

(٢٦) Plato ,Statesman 308 A 4- 6

(٢٧) Plato ,Statesman 307 D 7-٨

(٢٨) Ibid 307-B

(٢٩) Ibid 396-A 3 .

(٣٠) Plato ,Statesman E 7.

(٢٩) Ibid 306 -A3

(٣٠) Plato, Statesman 307-E7.

(٣١) Ibid 308 A6-7.

(٣٢) Plato, Republic 564 e-6-7.

الأوليجاركية في محاورة الجمهورية مطابقة للبلوقراطية Plutocracy

(٣٣) Plato, Republic 555 A4-6-556 C 8

(٣٤) Plato, Statesman 307 E3- 4

(٣٥) Plato, Republic 370 A 4

(٣٦) Plato ,Statesman 307 E 8- 9

(٣٧) Ibid 307- E7

(٣٨) Plato, Statesmn 307 E7.

(٣٩) Ibid 307 E٩

(٤٠) Plato ,Statesman 308 A 7- 9

(٤١) Herodotus,I,60

(٤٢) Xenophon,Cyropaedia I,IV.

(٤٣) Plato ,Statesman 292 e.

(٤٤) Ibid,292 6-9-293 a1

(٤٥) Plutarchus,Solon 28-31.

(٤٦) Cf, Tanner R.G., "How far was Plato concerned to rebut the claims of Cyrus the Great and Pisistratus the title of Statesman .(Polis) Vol.12,1993 PP.154-87.

(٤٧) Plato, Statesman 308 D 4-5 .

(٤٨) Plato, Statesman 308 D7.

(٤٩) Ibid 309-Bl- 2:-

τους λοιπους τοινυν, οσων αι φυσεις επι το γενναιον ικαναι παιδειας τυγξανουσαι, καθιστασθαι και δεχασθαι μετα τεξνης χυμμιχιν προς αλληλας .

Ibid, 309- C5 (٥٠)

Plato,Statesman,310- 4-5 (٥١)

Plato, Statesman 307 B10 (٥٢)

Ibid 307 C1-2 (٥٣)

Ibid 310 E11. (٥٤)

Ibid 311-A 1-2 (٥٥)

مصادر البحث و مراجعه

أولا : المصادر

* **Aristotle,Politics (Loeb).**
* **Herodotus, (Loeb).**
* **Plato,Republic (Loeb).**
* **Plato,Statesman (Loeb).**
* **Plutarchus,Solon (Loeb).**
* **Xenophon,Cyropaedia (Loeb).**

ثانيا : المراجع و الدوريات

Crawford M. and whitehead D., Archaic and classical Greece, London,1983.
Samberg M. " Law and Politics in Plato`s Statesman " (Polis vol 12) 1993.
Skemp J.B.; " Plato, the statesman " 2nd ed. Bristol classical Press 1987.
Tanner R.G.; " How far was Plato concerned to rebut the claims of Cyrus the Great and Pisistratus to the title of statesman ?. Polis - vol 12 - 1993.